وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة تكريت
كلية التربية للعلوم الانسانية

محاضرات

في تاريخ أوربا في العصور الوسطى

(٤٧٦ – ١٤٥٣)

الأستاذ الدكتور رائد سامي حميد
قسم التاريخ

المرحلة الاولى

٢٠٢٤ – ٢٠٢٥

المحاضرة العاشرة

الفرنجة الكارولنجيون:

أخذت أوضاع الميروفنجيين بالتردي منذ وفاة مؤسس الأسرة كلوفس عام ٥١١م ، مما أدى الى التنافس بين أفراد الأسرة المالكة ومهد ذلك الطريق الى إستفحال أمر الارستقراطية الإقطاعية . و تمكن أحد هؤلاء وهو **ببن الثاني** Pippin The Second من تركيز السلطة بيديه عندما تولى منصب حجابة القصر . هي أقرب الى المنصب الوزاري، وقد أصبح ملوك الفرنجة الميروفنجيون منذ ذلك الوقت أدوات بيد حجاب القصر ، ومن أشهر الحجاب الذين تولوا المنصب بعد ببن الثاني هو **شارل مارتل** Charles Martel وهو الابن غير الشرعي لببن الثاني.

تمكن **شارل مارتل** من الإنفراد بالحكم بعد معارك خاضها على ذلك المنصب لعدة سنوات ضد منافسيه أي حتى سنة ٧١٧م ، ولعل أهم الأعمال التي قام بها **شارل مارتل** مقاومته للزحف العربي الإسلامي في إسبانيا ، اذ تمكن من الانتصار على المسلمين في معركة بلاط الشهداء Poitier بواتييه أو معركة البرت او البرتات التي أوقفت الزحف العربي الإسلامي بعد جبال البرانس. وقد أسف أحد المستشرقين ، المستشرق الفرنسي روجيه غارودي Roger Garodier لأن العرب المسلمين لم ينتصروا في معركة بلاط الشهداء سنة ٧٣٢م قائلاً "**ان العرب لو انتصروا في هذه المعركة لنقلوا الحضارة العربية الإسلامية الى فرنسا وأوروبا ولكنا نسمع الآذان في فرنسا**" . ومن المهم التأكيد ان معركة بلاط الشهداء (بواتييه) قد اظهرت مدى التلاحم بين الفرنجة والكنيسة تحقيقاً لمصالحهما المشتركة، التي بدأت منذ عهد كلوفس . وتشير المصادر العربية الى ان عدد جيش الفرنجة كان يفوق كثيراً الجيش الاسلامي ، الى جانب التخطيط المبكر للمعركة من قبل شارل مارتل ، ومعرفة الفرنجة بالمواقع التي دارت فيها المعركة ووصول المؤن والمدد الى الجيش الفرنجي . وكل ذلك أمور مهمة حرم منها الجيش العربي الإسلامي ، بعد ما غدا بينه وبين مركز الدولة ما يزيد على الف كيلومتر. وهكذا، فان هذه المصادر تقدم رواية مغايرة للرواية الأوربية في تفسيرها لفشل العرب المسلمين في الانتصار في هذه المعركة الحاسمة بين الجانبين.

اما المصادر الأوربية، فإنها تبالغ في أهمية الإنتصار الفرنجي ، وتقدم تبريرين لهذا الانتصار : أولهما وجود خلاف بين العرب والبربر ، والغنائم التي أثقلت الجيش الإسلامي وأبعدته عن الإستمرار بالمعركة . إلا أن هذين العاملين لا يصمدان امام النقد التاريخي . فليست هناك معلومات تاريخية موثقة حول هذا الخلاف ، الى جانب أن إنسحاب الجيش العربي الاسلامي السريع يؤكد خفة هذا الجيش للتخلص من بوادر صعوبة الإستمرار فيها بظروفها القاسية بعد إستشهاد قائدها الغافقي . ولعل ترك الجيش للخيام منصوبة كان خطة حماية لم يدركها الفرنجة إلا في صبيحة اليوم التالي وهم يستعدون للهجوم والقتال . وهو أمر يشير الى أن إنسحاب الجيش الإسلامي كان من غير ظهور بوادر إنكسار بينة .

أسهمت الكنيسة في تفخيم الإنتصار الفرنجي في معركة بلاط الشهداء، لا سيما بعد إتساع المواجهة بين المسلمين والصليبين خلال سنوات الحروب الصليبية (١٠٩٦-١٢٩١م) والمراحل اللاحقة . الى جانب دور المؤرخين الغربيين في إعتبار هذا الحدث حداً فاصلاً في العلاقات بين الاوربيين والمسلمين . فالمؤرخ البريطاني إدورد جيبون Edward Gibbon رأى أنه "لو انتصر المسلمون في هذه المعركة لرأينا القرآن يتلى ويدرس في جامعات الغرب" . وأكد مؤرخون غربيون آخرون هذا الرأي مشيرين " **انه لو ربح العرب تلك المعركة لكانت باريس ولندن موطنين تقام فيهما المساجد ويتلى فيهما القرآن ويفسر في الجامعات كأكسفورد وغيرها من مراكز العلم لا الكتاب المقدس كما يجري اليوم**" .

وهكذا ، وعلى الرغم من المبالغة في قيمة هذه المعركة وأهميتها في وقف الزحف العربي الإسلامي بإتجاه جنوب أوربا ، نجد من المؤرخين الغربيين من تمنى عدم الإنتصار في هذه المعركة لايصال الحضارة العربية الإسلامية الى أوربا .

كانت الجيوش العربية والإسلامية بقيادة القائد العربي عبد الرحمن الخافقي، وقد أطلق على شارل بعد هذه المعركة اسم **شارل مارتل (المطرقة)** Chareles The Hammer. ومن نتائج معركة بلاط الشهداء إدخال شارل مارتل نظام الفروسية في جيشه معتمداً في ذلك على المساعدات التي قدمتها له الكنيسة وذلك بتخصيص موارد أراضيها الزراعية الوقفية وكافة منشآتها

في فرنسا تحت تصرف **شارل مارتل** لاعداد كتائب الفرسان لحماية الحدود الفرنسية من الخطر الإسلامي.

تولى بعد شارل مارتل ابنه **ببن الثالث**، الذي تمكن من إقصاء الأسرة الميروفنجية من العرش الفرنجي وذلك في سنة ٧٥١م و اعلن نفسه ملكاً وذلك بخلع آخر ملك من ملوكهم. وتمكن ببن من تحقيق ذلك بمساعدة البابا " **زكريا** " حيث أصدر مرسوماً بابوياً يؤيد ببن في إدعاءه بالحكم لأنه الأقدر من شلدريك على الحكم، وقد توج ببن ملكاً بصورة رسمية من قبل كنيسة روما سنة ٧٥٤م وذلك على اثر مجيء البابا **ستيفن الثاني** بنفسه الى بلاد الغال والقيام بعملية التتويج.

اما الأسباب الرئيسة التي دفعت البابوية الى أن تبارك مركز **ببن** الملكي فتتلخص في حاجة البابوية الى **ببن** من أجل الدفاع عن الدولة البابوية في إيطاليا ضد إعتداءات مملكة اللمبارد، وتمكن من شن غارات على تلك الدولة اللمباردية وإسترجع منها عدة مدن كان قسم منها تابع الى البابوية في الأصل. وقد سلمت مفاتيح تلك المدن للبابوية سنة ٧٥٦م ،لأنها أصبحت من ضمن ممتلكات البابوية ويشار الى هذه المنحة بأسم **هبة ببن** Donation of Pippin، وقد إعتمد البابا في إقناع ببن على وثيقة مشابهة تسمى هبة قسطنطين Donation of Constantine، اذ تشير هذه الوثيقة الى أن الإمبراطور قسطنطين الكبير قبل أن يترك روما الى مقره الجديد في القسطنطينية تنازل عن كافة ممتلكاته في إيطاليا والقسم الغربي من أوربا الى كنيسة روما في عهد البابا سلفستر الثاني. ولهذا فأن إيطاليا بأكملها أصبحت للبابوية نظرياً وفقاً **لهبة ببن** .و أثبتت التحريات التاريخية التي قام بها المؤرخ الايطالي لورينزو فالا Lorenzo Vala زور هبة قسطنطين، ولا صحة لها اطلاقاً وأنها زورت في الوقت الذي أعلن فيه ببن الثالث ملكاً للتأثير عليه لتقديم الممتلكات التي إستولى عليها من اللمبارد هدية للبابوية . وكان هذا الإكتشاف بداية للبحث التاريخي العلمي. الى جانب ذلك استطاع ببن الثالث أن يؤسس علاقات دبلوماسية مع العباسيين في **عهد الخليفة ابو جعفر المنصور** ،إذ أرسل ببن سنة ٧٦٢م وفداً للمنصور مهمته تتعلق بفشل الثورة التي حدثت في الأندلس والتي اعتمد المنصور في قيادتها على العلاء بن مغيث الحضرمي الذي قتل في حربه مع عبد الرحمن الداخل.

شارلمان Charlemagne :

تولى شارلمان الحكم عند وفاة والده ببن الثالث في عام ٧٦٨م ، واستمر حكمه حتى سنة ٨١٤ م وتقع فترة حكمه في مرحلتين :-

المرحلة الملكية Royal Period (٧٦٨-٨٠٠م).

المرحلة الإمبراطورية Imperial Period (٨٠٠-٨١٤م).

دخل شارلمان بين سنتي٧٦٨ و ٧٧٢ في حرب أهلية مع أخيه **كارلومان**، الا إن وفاة الأخير في سنة ٧٧٢ أدى الى أن ينفرد شارلمان بحكم مملكة الفرنجة الكارولنجيين. ويمكن تلخيص أهم أحداث عهده وأعماله خلال الفترة الملكية بما يأتي :-

١- القضاء على اللمبارد سنة ٧٧٤م، فبعد معارك عنيفة بدأت منذ عهد والده ببن الثالث، تمكن شارلمان من القضاء على مملكة اللمبارد في شمال إيطاليا ووسطها . وتمكن شارلمان من إضافة مملكة اللمبارد الى حكمه وأصبح يلقب **بملك الفرنجة واللمبارد وحامي الرومان** ، ويقصد بالمصطلح الأخير **(حامي الكنيسة الكاثوليكية)**.

٢- وسع مملكته الى النواحي الشمالية الغربية من وسط أوربا بقضائه على مقاومة السكسون الوثنيين . وقد شن الحرب على هذه القبائل بحجة نشر الديانة المسيحية و أجبر زعيم السكسون على إعتناق المسيحية وفقاً للمذهب الكاثوليكي عند وقوعه في الأسر.

٣- التوسع في الجهات الوسطى والشرقية من أوربا ، حيث تمكن من ضم مناطق بافاريا وبوهيميا وشمال غرب البلقان ، وبذلك أصبحت له حدود مشتركة مع البيزنطيين في الجهات البلقانية وفي شبه الجزيرة الايطالية.

٤- قيادته الحملة ضد الاندلس سنة ٧٧٨م ،إذ إستعان به والي برشلونة سليمان، وكانت نتيجة الحملة الفشل ، وفي أثناء الانسحاب في ممرات جبال البرانس Pyrenees قتل أحد قواده المشهورين وإسمه رولان Roland . وقد خلدته الملاحم والأساطير فيما بعد في ملحمة شعرية تعد من أهم مصادر العصور الوسطى هي **إنشودة رولان** La Chanson de Roland.

المرحلة الإمبراطورية :

تبدأ منذ عام ٨٠٠ وحتى وفاته في عام ٨١٤م ، ففي السادس والعشرين من كانون الأول عام ٨٠٠ م تم تتويج شارلمان إمبراطورا على الإمبراطورية الكارولنجية في مدينة روما من قبل البابا **ليو الثالث** . فبينما دخل شارلمان إلى كنيسة القديس بطرس في روما لأداء الطقوس الدينية فاجأه البابا **ليو الثالث** بوضع التاج على رأسه . وقد تم ذلك على أثر إخماد شارلمان الثورة في روما ضد البابوية.

أدى تتويج شارلمان إمبراطورا الى سلسلة من المشاكل مع الإمبراطورية البيزنطية ، لان الأباطرة البيزنطيين يعدون انفسم أباطرة شرعيين . وقد إستمرت هذه المشاكل بين الإمبراطورية الكارولنجية والبيزنطيين حتى سنة ٨١٢م ، عندما إعترفت الإمبراطورية البيزنطية بشارلمان إمبراطورا على الجزء الغربي ، إلا أنه احتل مكانة ثانوية بالنسبة للإمبراطور البيزنطي.

سياسة شارلمان الداخلية في العهد الإمبراطوري :

قام شارلمان بعدة إنجازات إدارية وثقافية فيما يخص الجانب الإداري، فأسس هيئات أدارية تفتيشية تجوب البلاد لتستمع الى المظالم وتقف على موارد الإقطاعيين ، والغاية من هذه الهيئات التفتيشية الحد من تعاظم نفوذ الإقطاعيين ، كما إهتم في القضاء وفرض على أتباعه من إجراء الإجتماع والحضور **مرتين** في السنة في مجالات إستعراضية عسكرية كبرى. وحاول ان يضع مقاييس وموازين موحدة.

اما فيما يخص العملة ، فقد أصدر عملة جديدة مركزية اعتمدت على معدن **النحاس** لندرة الذهب . مع ذلك ، أوجد عملة ذهبية على نطاق محلي للأقسام اللمباردية في جهات إيطاليا نظراً لإستمرار التجارة الداخلية في تلك الجهات من البحر المتوسط .وفيما يتعلق بالجانب الفكري والثقافي ، يطلق على الحركة الفكرية التي سادت في عهده في بعض الجهات الفرنسية بأسم **(النهضة الأوربية الكارولنيجية)** . وأسس ثلاثة أنواع من المدارس هي:

١-مدارس البلاط.

٢-مدارس الأديرة.

٣-مدارس الكنيسة.

واوجد ايضاً معهدا للدراسات العليا أطلق عليه اسم **الأكاديمية**، وأصبح شارلمان الرئيس الفخري لتلك الأكاديمية ، ومن أهم الأساتذة الذين اعتمد عليهم شارلمان هما **الكوين وإينهارد**، كان الأول إنكليزيا إستقدمه شارلمان من إنكلترا وكلفه بوضع مناهج التعليم ، كما انه أصلح الخط اللاتيني السائد وأصبح يعرف بالخط الكارولنجي.

اما إينهارد ، مؤرخ حياة شارلمان، فهو مختص بالتاريخ والفلسفة ، مارس التدريس في الأكاديمية وأصبح مؤرخ البلاط الكارولنجي، ومما يؤخذ عن النهضة الكارولنجية خلوها من الإبداع والأصالة ، إذ نسجت على خطي الأدب الكلاسيكي اليوناني والروماني، إلا أن الاختلاف الوحيد بين النهضة الكارولنجية والتراث الكلاسيكي اليوناني والروماني هو وضع النهضة الكارولنجية في إطار مسيحي.

سياسة شارلمان الخارجية :

يمكن تلخيص سياسة شارلمان الخارجية بما يأتي :

١- تفادي الخطر الإسلامي في جهات الأندلس.

٢- الإهتمام بأحوال المسيحيين في الأراضي المقدسة.

٣- محاولة الضغط على البيزنطيين للإعتراف بلقبه الإمبراطوري وفتوحاته في ايطاليا ،على نحو خاص .

هذه النقاط تلقى الضوء على طبيعة العلاقات بين شارلمان و هارون الرشيد وذلك للمصلحة المشتركة بينهما والمختصة بعداوة كل من العباسيين والكارولنجيين لكل من الدولة الأموية في الأندلس والبيزنطيين .ويشير المؤرخ اينهارد ان هناك جملة وفود تم تبادلها مع شارلمان وهارون الرشيد وحول تلك الغاية المشتركة. أما المصادر الإسلامية فلم تتطرق لهذا الموضوع مما يلقي بظل قاتم من الشك حول وجود مثل هذه العلاقات بين الكارولنجيين والعباسيين، ولاسيما بين لويس التقي ٨١٤-٨٤٠م والخليفة العباسي المأمون ، إذ توقفت هذه العلاقات بسبب الحرب الأهلية بين لويس التقي وأولاده وانشغال العباسيين بالحروب الداخلية في عهدي المأمون والمعتصم.

وفيما يخص **النقطة الثانية** فقد أشارت المصادر الفرنجية الى أن هارون الرشيد قد تنازل عن حماية الأماكن المقدسة في بلاد الشام لشارلمان ،أي ان الرشيد تنازل عن هذه المسألة بما بات يعرف في المصادر الأوربية **بأسطورة الحماية الكارولنجية على فلسطين**. وقد أثار هذا الموضوع العديد من المؤرخين العرب مثل المؤرخان العراقيان الدكتور عبد العزيز الدوري والدكتور فاروق عمر فوزي، وقد تأكد في الكتابات التاريخية المعاصرة أن أسطورة الحماية قد وضعت في زمن الحروب الصليبية لإعطاء الحروب التي شنت ضد العالم الإسلامي صفة دينية وشرعية.

وفيما يتعلق **بالنقطة الثالثة** ، ظلت العلاقات الكارولنجية– البيزنطية متوترة حتى عام ٨١٢م عندما اعترف البيزنطيون بلقب شارلمان الإمبراطوري.

وفي التقييم النهائي لعد شارلمان ، فإنه يعد بحق مرحلة حاسمة في التاريخ الكارولنجي ، أثرت بعمق لا في تاريخ الفرنجة فحسب بل في عموم وسط وغرب أوربا ، حتى ان مملكتي فرنسا والمانيا في العصر الوسيط استمدتا تقاليدهما الدستورية والسياسية من ملكيته. وإذا كان عهده يمثل إستمراراً للسياسة التي وضعها والده ، ولا سيما في علاقات الفرنجة الخارجية ، إلا أن شارلمان إبتعد عن مسارها في قضايا أساسية : فأنهى مملكتي **اللمبارد والسكسون** ، وضم **بافاريا** ، وقام بحملات عسكرية في **إسبانيا** و **هنغاريا** ، وقبل وفاته شملت مملكته كافة الاراضي المسيحية في غرب أوربا، فاستحق تقويم معاصريه بوصفه "النموذج المثالي للملك المسيحي والامبراطور" . وكان أخطر إنجازاته تحجيمه لدور الكنيسة في الحياة السياسية للدولة بما ينسجم مع مصالحها العليا .

التأثير المتبادل بين سياستي شارلمان الداخلية والخارجية ، وإتساع رقعة الدولة، أثر على نحو واضح في المجالين الفكري والإقتصادي . كانت ثمرته النهضة ، التي أسهم فيها شخصيات من إصول متنوعة : فرنجية ، ولاتينية وجرمانية . فالتنوع في الثقافات والتقاليد للشعوب التي انصهرت في دولة واحدة ، أدى الى امتزاج الثقافة اللاتينية الكلاسيكية بالتقاليد الفرنجية والجرمانية الأخرى .

أما في الجانب الإقتصادي ، فإن هذا الإتساع ، وضعف البحرية الكارولنجية، وإمتداد النفوذين الإسلامي والبيزنطي الى البحر المتوسط ، دفع بعض المؤرخين الى التأكيد على أن العصر

الكارولنجي يمثل إنحساراً للتأثير الاوربي الغربي في منطقة البحر المتوسط ، وإتجاه الكارولنجيين في علاقاتهم الإقتصادية نحو شمال أوربا . إلا أن هذا الرأي لا يصمد أمام النقد التاريخي . فقد أثبت عهد شارلمان ، وبالاعتماد على مجموعة بارزة من مؤرخي العصر الوسيط عدم دقة فرضية الإنحسار ، وتحول "منطقة البحر المتوسط" الى منطقة مقفلة للسيادة العربية الاسلامية . فعلى النقيض من ذلك ، إستمرت العلاقات الإقتصادية بين أوربا الغربية وشبه الجزيرة الإسكندنافية والعالم الإسلامي ، وتدفقت البضائع الى منطقة البحر المتوسط . أما اسباب ضعف تجارة أوربا الغربية خلال النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي والنصف الاول من القرن التاسع الميلادي فيرتبط باتجاه أوربا في هذه المرحلة نحو الزراعة التي تمخض عنها وضع أسس **النظام الاقطاعي** في أوربا الغربية . الى جانب ذلك ، فان عهد شارلمان شهد سلسلة متواصلة من الحروب غطت غالبية أصقاع أوربا مما اثر سلباً في النشاط التجاري. فتكون العلاقات الخارجية للكارولنجيين ، ولا سيما جانبيها العسكري والسياسي ، قد اثرت على النشاط الاقتصادي في اوربا .

ومن ابرز ما أنجزه شارلمان تنظيم علاقاته بالكنيسة الى درجة التحالف ، ففي الوقت الذي تنازل لها عن بعض الاقاليم التي استولى عليها ، فانه نجح في الحد من نفوذها وقيد صلاحياتها وجعلها عملياً تحت سيادة الدولة الكارولنجية .

اما ما يخص علاقات شارلمان مع **السكسون** ، **بافاريا** ، **الافار** ، **السلاف** ، **الدانيين** ، **والانكليز** ، فقد حقق نجاحات عسكرية وسياسية كبيرة مع السكسون بضم مملكتهم الى الدولة الكارولنجية ، وتحويلهم للمسيحية ، وحقق الأهداف ذاتها مع **بافاريا**، التي كان سكانها يدينون بالمسيحية الكاثوليكية ، فحولهم الى ذراع ضاربة للكارولنجيين في فتوحاتهم الأخرى ، وحقق النجاح ذاته ايضا مع الآفار ، إلا أن نتائج سياسته كانت محدودة مع السلاف والدانيين ، ويرتبط ذلك بإتساع رقعة الدولة وإنتشار الجيش الكارولنجي في أصقاع متعددة ، الى جانب بعد مناطقهم عن مراكز الدولة الكارولنجية .

وكان لشارلمان علاقات حربية وسياسية مع المسلمين في الأندلس تعد إستمراراً لسياسة أسلافه منذ عهد جده شارل مارتل ، إلا أن شارلمان لم يحقق نجاحا واضحا في سياسته الأندلسية ، فكانت معركة سنة ٧٧٨م ، قد أثرت في مسار العلاقات الكارولنجية – الاندلسية ، وحدت من

إندفاع شارلمان وعدائه للأمويين في الأندلس ، بعد ان أثبتت له الهزيمة عدم قدرته القضاء على سلطة المسلمين ولا بد من التعايش مع الوضع الجديد . وقد حاول الاوربيون ان يعوضوا جانباً من هذا الاخفاق في **(انشودة رولان)** ، الملحمة الشعرية التي تتغنى ببطولات مؤخرة جيش شارلمان وتبتعد في جوانب كثيرة عن الواقع التاريخي . هذا الاخفاق في معركة سنة ٧٧٨م ، والنجاحات المتواضعة التي حققها في حملاته اللاحقة ، اقنعته بفتح العلاقات الدبلوماسية مع الأمراء الأمويين : عبد الرحمن الداخل والحكم وهشام ، فتبادل الطرفان الوفود الدبلوماسية . ولكن علاقات الود لم يقدر لها الإستمرار ، لإتساع عوامل الخلاف ، ولمساهمة الأقاليم الحدودية في توتر علاقات الجانبين .

وضمن السياق ذاته ، كان لشارلمان صلات دبلوماسية مع العباسيين في عهد هارون الرشيد ، إختلف المؤرخون بشأنها ، فقد بالغ الغربيون في مدى هذه العلاقات ونتائجها ، واكدوا على تنازل الرشيد عن الاماكن المقدسة في فلسطين (فرضية الحماية)،وتعيين الرشيد لشارلمان (أمير إستيلاء) على الأندلس . أما المصادر الإسلامية فإنها إلتزمت جانب الصمت حول هذا الموضوع ، مما أدى الى إتساع الجدل حول صحة هذه العلاقات ومداها بين المؤرخين المحدثين الغربيين والشرقيين وقد نظر كل منهم الى الموضوع من زاوية اختصاصه : فأكد فريق هذه العلاقات ، وشكك قسم آخر في صحتها ، ووقف فريق ثالث بين الجانبين، ويقف مؤرخون اخرون ابرزهم الدكتور عبد العزيز الدوري بين الفريقين . إلا أن دراسة موضوع العلاقات الكارولنجية – العباسية إعتماداً على المصادر المعاصرة والحديثة – اظهر وجود اتصالات دبلوماسية محدودة بين شارلمان وهارون الرشيد ، لم تتعد حدود المجاملات الدبلوماسية ، وقام بهذه الاتصالات تجار مسلمون ويهود وموظفون في البلاطين الكارولنجي والعباسي . وقد بالغ بعض هؤلاء التجار في مدى هذه العلاقات بما نقلوه من معلومات.

اما سكوت المصادر العربية الاسلامية ، فمع انه ما زال موضوعاً محيراً للباحثين ، فانه لا ينفي واقعية هذه العلاقات . ويرتبط هذا الاهمال والسكوت بمحدودية هذه العلاقات ، والفواصل الزمنية الطويلة بين الوفود المتبادلة ، مما أدى الى إهمالها من الجانب الإسلامي ، وتفخيمها من الجانب الكارولنجي والأوربي ، لتعويض جانب من الفشل الذي واجه صراع شارلمان المسلح مع

المسلمين . ولعل المبالغة في تفخيم العلاقات المتبادلة قبيل الحروب الصليبية وفي بداية التاريخ المعاصر للعالم العربي ما يفسر اهدافها ، وغايتها إفتراض التبعية العربية الإسلامية للغربيين وتفوق الأخيرين سياسياً وحضارياً .

كانت علاقات شارلمان مع البابوية والبيزنطيين متداخلة ، فقد قدم شارلمان نفسه حامياً للبابوية في نفس الوقت الذي أخضعها لسلطته ونجح في منع البابا من التدخل في شؤون الدولة، وقد أستغل سوء سيرة البابا ليو الثالث وحاجته لحمايته ليخضع الكنيسة لسلطته ونفوذه . وعلى نحو مترابط مع العلاقات الكارولنجية – البابوية ، إتسمت علاقات شارلمان مع البيزنطيين بعدم الإستقرار والثبات ، وعلى الرغم من الإتصالات الدبلوماسية بين الجانبين في فترات متباعدة ، كانت هناك عوامل تدفع الى العداء بين الجانبين بسبب الصراع على السيادة في جنوب ووسط إيطاليا ، إلى جانب الصراع البحري بين الجانبين في البحر المتوسط ، وقد جاء تتويج شارلمان في عام ٨٠٠ م وإعلانه إمبراطوراً ليزيد من حدة التنافر بين الجانبين . فقد كان الإمبراطور البيزنطي يرى نفسه الأحق باللقب الإمبراطوري لعوامل تاريخية وعرقية وسياسية ، بينما رأى شارلمان إنه الأحق بهذا اللقب من خلال إنجازاته الكثيرة وقدرته على لم شمل أقاليم الإمبراطورية الرومانية السابقة . ولم ينته الخلاف بين الجانبين الا في سنة ٨١٢م، بإعتراف البيزنطين باللقب الإمبراطوري رضوخاً للامر الواقع .

وهكذا ، كان التتويج الامبراطوري لشارلمان نقطة تحول مهمة في تاريخ أوربا، إذ اكتمل الإنتقال من العصور القديمة الى العصور الوسطى على مختلف الصعد ، السياسية والإقتصادية والإجتماعية والفكرية والعسكرية ، وبدأ عصر جديد بإتفاق عدد من مؤرخي التاريخ الوسيط يختلف عن العصر السابق بتوجهاته وإهتماماته . ولعل أهم مميزات العصر الجديد إنحسار التأثير الاوربي في البحر المتوسط ، بعد أن إتجه الكارولنجيون في علاقاتهم الإقتصادية نحو شمال أوربا ، وظهور بدايات النظام الإقطاعي . إلا أن ذلك لا يعني إنعدام الوجود السياسي والإقتصادي الأوربي في البحر المتوسط ، على الرغم من إنحساره . الى جانب ذلك ، إتسع الصراع بين الامبراطوريتين الكارولنجية والبيزنطية حول جنوب ووسط إيطاليا ، وبشأن أحقية كل منهما بوراثة الإمبراطورية الرومانية . وحاول الجانبان إخضاع الكنيسة لسلطته وممارسة نوع من السيادة عليها

. لقد اخذت اوربا الغربية تنحو منحاً مغايراً في تطورها السياسي والإقتصادي والفكري ، وكان للكارولنجيين دورُ مؤثر في إحداث مثل هذه التطورات وتوجيهها .

سقوط الإمبراطورية الكارولنجية :

هناك ثلاث أسباب رئيسة أدت الى سقوط الإمبراطورية الكارولنجية هي:-

١- مبدأ تقسيم المملكة.

٢- الغزوات الجديدة التي إنهالت على أوربا التي يشار لها **بالغزو الثاني** تمييزاً لها عن **الغزو الأول** الذي وقع على الإمبراطورية الرومانية.

٣- الاتجاهات اللامركزية للإقطاع.

فيما يخص النقطة الاولى ، سار ملوك الفرنجة في العهدين الميروفنجي والكارولنجي على قاعدة تقسيم البلاد على الورثة وقد أدت هذه الظاهرة الى حروب اهلية. سار شارلمان على نفس القاعدة ، الا ان الظروف أنقذت إمبراطورتيه من الحرب مؤقتاً لأنه لم يعش من أولاده سوى **لويس التقي** الذي عهد لهُ بالعرش وهو على قيد الحياة عام ٨١٣م ،حيث حكم معهُ لمدة سنة كإمبراطور مشارك.

ظهرت مشكلة التقسيم بشكل سافر في عهد **لويس التقي**، اذ أجرى محاولتين لتقسيم الإمبراطورية بين أولاده وهو على قيد الحياة كانت الأولى سنة ٨١٧م والثانية سنة ٨٣٧م اذ قسم البلاد في التاريخ الأول بين كل من أولاده الثلاثة وهم: **لوثر** ، **ببن** ، **لويس** ، إلا أنه أهمل حصة ابن اخيه **برنارد**. وقد أثار هذا احتجاجا على حرمانه من الإرث وانتهت ثورته بعد القبض عليه ومات وهو في الأسر.

توضحت محاولة لويس الثانية للتقسيم في سنة ٨٣٧م ، وسبب أعادة تقسيم مملكة الإمبراطورية من جديد هو مجيء وريث جديد وهو **شارل** . ولم يوافق الإخوة الآخرون على حصة أخيهم الجديد فنشب القتال بين الأب وأولاده . وبعد سلسلة من المعارك تمكن الأب من الإنتصار سنة ٨٣٨م ، مما سهل الالتفاف بين الأب وأولاده هو موت الابن **ببن** ، وتورط الابن الأكبر **لوثر** في مشكلة عائلية أفقدته أتباعه . وقد تجددت الحرب الأهلية بعد وفاة الإمبراطور لويس

التقي مباشرة سنة ٨٤٠م بين الإخوة الثلاثة حتى سنة ٨٤٣م ، وانتهت بعقد معاهدة فردان Verdun Treaty. تضمنت هذه المعاهدة إعادة تقسيم الإمبراطورية كما يأتي:

أ–منطقة نهر الراين والأقسام الايطالية أصبحت من حصة الابن الأكبر **لوثر** الذي آل أليه اللقب الإمبراطوري أيضاً ، ويشار الى تلك المملكة **(بالمملكة الوسطى)**.

ب–شرق نهر الراين وتشمل أقسام أوربا الوسطى من حصة **لويس** ، الذي يدعى منذ ذلك الوقت بـ **لويس الجرماني** ، وأصبحت هذه المملكة نواة لألمانيا فيما بعد.

ج–خصصت المناطق الواقعة غرب المنطقة الوسطى ويشار لها فرنسا **لشارل** . تعرضت المملكة الوسطى للتنافس بين المملكتين الشرقية والغربية مما أدى الى إقتسامها فيما بعد بين الجبهتين واستمرت الأسرة تحكم في المملكتين فرنسا والمانيا ، فقد انتهت في فرنسا سنة ٨٨٧م وفي المانيا سنة ٩١١م ، وبذلك انتهى عهد الأسرة الكارولنجية . فتكون معاهدة **فردان** قد وضعت أساس ظهور الدولة القومية الحديثة فيما بعد في أوربا.

يمكن ان نقسم الغزوات الخارجية التي انهالت على أوربا في عهد الإمبراطورية الكارولنجية الى ثلاث مجموعات:

أ– مجموعة الأقوام الإسلامية :

هجم الاغاربة من الشمال الإفريقي على الجزر الايطالية وإستهدفوا شبه الجزيرة الايطالية وتمكنوا من إحتلال صقلية عام ٨٢٧ م وإندفعوا الى شبه الجزيرة الإيطالية ، وقد فرضوا الحصار على روما سنة ٨٤٣م وتوغلوا في الأقسام الشمالية من إيطاليا ، وأصبحت لهم معسكرات في جبال الألب وتوغلوا من هناك الى ما يسمى الآن بالجهات السويسرية وكانت تابعة للكارولنجيين.

ب– المجموعة الشمالية :

ويشار لهم ايضاً بأسم **النورمانديين** أو **النورمان** أو **الفايكنك** ، أي أصحاب الخلجان . وتعد غزوات هؤلاء من آخر الغزوات الجرمانية على أوربا التي قامت بها القبائل الساكنة في شبه الجزيرة الاسكندنافية ، ومن أشهر القبائل الاسكندنافية هي القبائل المعروفة **بالنرويجية والدانية والسويدية**. تمكن الشماليون من التوغل في الإمبراطورية الكارولنجية ، ولاسيما في الأقسام

الشمالية الغربية منها و بدء هؤلاء هجومهم في وقت كان فيه شارلمان على قيد الحياة وأخذت هجماتهم تشتد بمرور الزمن ، وكان يشار لهم ايضاً بأسم "**اصحاب الخلجان**" أو الفايكنك . اما سبب تسميتهم بذلك فلأنهم كانوا يسكنون في الخلجان او مصبات الأنهار ثم يندفعون منها الى داخل أوربا بعد انتهاء الفصل . اضطرت السلطات الفرنسية السماح لهم إحتلال بعض أراضيها واضطرت ايضاً الى الاعتراف الرسمي بتشكيل أمارة لهم في فرنسا سنة ٩١١م بأسم "**نورمندي**"، نسبة الى الشماليين، كما تمركزت القبائل الدانية فيما يسمى الآن الدانمارك وسمي بذلك المعسكر الدانماركي نسبة الى تلك القبائل ، كما توسع فرع من القبائل السويدية شرقاً وأسسوا دولة في الجهات الروسية . ويعتقد بأن كلمة **روسيا** كانت تطلق في البداية على ذلك الفرع من القبائل السويدية.

ج- القبائل المجرية :

وهي القبائل الآسيوية التي توغلت في الأقسام الجنوبية الشرقية من أوربا واندفعت نحو الأقسام الغربية ، واخيراً تمكن الملك الألماني **أوتو** من الإنتصار على تلك الجموع القبلية والمجرية في موقعة **لجفيلد** سنة ٩٥٥م، و استوطنوا المنطقة التي عرفت فيما بعد بأسمهم **المجر**.

٣- أما بالنسبة للاتجاهات اللامركزية للإقطاع:

أثناء الحروب الأهلية في الإمبراطورية الكارولنجية لم تعد السلطات المركزية قادرة على جباية ما على الإقطاعيين من تعاقدات مالية وعسكرية للدولة، و أصبح الأمراء في حالة إستقرار نسبي لاسيما في القسم الغربي من الإمبراطورية . وأدت اتجاهاتهم اللامركزية الى الحكم الكارولنجي بينما ان معاهدة فردان تعد من قبل البعض نتيجة حتمية لنزاع الاتجاهات اللامركزية وأنها مسؤولة عن هذا التقسيم الكبير للإمبراطورية.